مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 05 العدد03 جوان 2022 من ص: 814ـ829
ر س ع و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

واقع اللغة العربية في الجزائر من خلال قطاع التعليم العالي

The reality of the Arabic language in Algeria through higher education

سعودي أحمد♦

جامعة عمار ثليجي - الأغواط، a.saoudi@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال: 2022/02/11 تاريخ القبول: 2022/04/14 تاريخ النشر: 2022/06/15

الملخص باللغة العربية: شهدت الفترة الحديثة والمعاصرة تكالبا استعماريا شرسا على العالمين العربي والإسلامي، ولما كان العالم العربي وعلى رأسه الجزائر أول ضحية لهذا الاستعمار، فقد أبتلي الجزائريون باستعمار فرنسي استيطاني، لم يقتصر على استنزاف ثروات البلاد الطبيعية، بل عمل على ضرب مقومات الهوية الجزائرية ممثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية، وبسبب طول فترة الاحتلال فقد ورثت الجزائر بعد الاستقلال وضعها لغويا صعبا، من أبرز تمظهراته انحسار اللغة العربية الفصحى أمام حضور قوي للغة الفرنسية في مفاصل الدولة وإداراتها وحضور كبير للهجات المحلية على مستوى العوام، لكن الخطر كان أكثر تجليا في ضعف استخدام اللغة العربية في مجال البحث العلمي والتعليم العالي وبشكل واسع بين التخصصات التقنية والتطبيقية والطب وغيرها

ومما زاد الوضع خطورة ظاهرة العولمة التي اشتدت في العالم بعد نهاية القطبية الثنائية سنة 1990 م وسعي الولايات المتحدة الأمريكية للسيطرة على العالم وفرض نمط ثقافي وحضاري واحد على العالم، مما جعل اللغات ومن بينها اللغة العربية في خطر حتى في عقر دارها وبين أبنائها. وفي هذه الدراسة سنتعرض لعلاقة اللغة بالهوية والفكر، وأبرز الصعوبات التي تواجه اللغة العربية في الجزائر خاصة على مستوى البحث العلمي، وما هي الحلول المقترحة لتجاوز ذلك وإعطاء اللغة العربية المكانة التي تستحقها خاصة في مجال البحث العلمي؟

♦ المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية؛ الجزائر؛ البحث العلمي؛ التعليم العالي؛ العولمة.

Abstract: The modern and contemporary period witnessed a fierce colonial tying up on the Arab and Islamic worlds, and since the Arab world, with Algeria on its head, was the first victim of this colonialism, the Algerians were plagued by colonial French colonialism, not only depleting the country's natural resources, but rather working on striking the components of the Algerian identity.

And its linguistically difficult situation, one of the most prominent manifestations of which is the decline of the standard Arabic language in the face of a strong presence of the French language in the joints of the state and its major administrations, and a large presence of local dialects, but the danger was more evident. And an evident in the weakness of the use of the Arabic language in the field of scientific research and higher education, and widely between technical and applied disciplines.

In this study, we will discuss the relationship of language to identity and thought, and the most prominent difficulties facing the Arabic language in Algeria at the level of scientific research, and what are the proposed solutions to overcome this situation

Keywords: The Arabic language; Algeria; scientific research; higher education; globalization.

مقدمة:

تعيش العديد من المجتمعات العربية خاصة تلك التي تعرضت للاستعمار الأوروبي (الإنجليزي- الفرنسي- الإسباني...الخ) في وقتنا الحالي وضعا لغويا صعبا ومعقدا يعكسه ضعف استخدام اللغة العربية الفصحى على الخطاب الإعلامي والسياسي والعلمي، وسط انتشار واسع للغات الأجنبية في داخل هذه الأوساط، وأمام الاستخدام الواسع للهجات العامية في وسط العامة، مما جعل مجال استعمال اللغة العربية الفصحى يتراجع ويضيق يوما بعد يوم، بل ويهدد وجود هذه اللغة في عقر دارها.

وباعتبار أن الجزائر تعد من بين الدول المركزية والمحورية عربيا ومن أكثرها تعرضا لاستعمار استيطاني بغيض جاء على الأخضر واليابس، فإنها حاليا من أكثر الدول التي عرفت ولا زالت تعرف هذا الصراع اللغوي بين اللغة الأم والركيزة الهامة من مرتكزات

الشخصية الجزائرية وبين لغة مستعمر الأمس التي مازالت قوية النفوذ في الأوساط سابقة الذكر، ويعود ذلك اساسا إلى مرحلة الاستعمار البغيض الذي جثم على صدور الجزائريين 132 سنة كاملة، بل واستمرار مخلفاته لمرحلة ما بعد الاستقلال وسعيه لفرض لغته وثقافته ضمن متطلبات مرحلة ما يعرف بالنيوكولونيالية ثم العولمة.

وللأسف فمازالت قضية التعريب تترنح في الجزائر منذ عشرات السنين ورغم صدور العديد من المراسيم والقوانين الداعمة لمبدأ التعريب نتيجة للعديد من المعطيات المرتبطة بالتركة الاستعمارية وفشل سياسات التعريب تلك وسط غياب إرادة سياسية واضحة وصارمة في هذا المجال، ويكفي أن تتنقل في كبرى المدن الجزائرية أو في مطاراتها ومؤسساتها الكبرى لتكتشف الغياب شبه الكلي للغة العربية الفصحى أمام استخدام واسع للغة الفرنسة في واجهات المحلات والإدارات وحتى لغة تخاطب موظفيها مع الزبائن والمرتادين لها ،لكن الأدهى من ذلك أن تغيب اللغة العربية الفصحى في قطاع استراتيجي مثل التعليم العالي والبحث العلمي، حيث تم ركنها في زاوية العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب وعلوم الشريعة، بينما تم تغييبها بشكل واضح عن علوم التكنولوجيا والإعلام الآلي والطب ومعظم العلوم التطبيقية بحجة أنها غير قادة على استيعاب ومجاراة تلك العلوم المتطورة، مما جعل الكثير من الباحثين والطلبة ينفرون من استخدامها، بل ويعتبرون أن الباحث باللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الأجنبية أكثر ذكاء وتمرسا من نظيره الباحث باللغة العربية وللأسف فهي شعارات وفلسفات رفعها الاستعمار الفرنسي ذاته في الجزائر ما بين 1830-1962م.

وسنحاول في هذه الورقية البحثية استعراض واقع اللغة العربية في الجزائر انطلاقا من خلفية تاريخية ترتبط بالإرث الاستعماري الصعب في هذا المجال، وما هي علاقة اللغة بالهوية؟ وما مدى استخدام اللغة العربية في قطاع التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر؟ وكيف يمكن مواجهة التحديات التي تفرضها العولمة في هذا المجال؟

بالاعتماد على منهج تاريخي استقرائي تحليلي للواقع ماضيا وحاضرا، وتقديم مجموعة من الاستنتاجات والاقتراحات لتجاوز الوضعية الصعبة الذي تمر به اللغة العربية في بلدنا.

1- اللغة العربية صمام أمان الهوية والشخصية الجزائرية:

تمتاز اللغة بأنها وعاء للثقافة، والثقافة أساس الحضارة، والحضارة ترجمة للهوية، فاللغة من أهم الأركان التي تعتمد عليها الحضارات، ومن أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة، وكلما كانت اللغة أكثر اتصالاً بثقافة الشعوب كانت أقدر

على تشكيل هوية الأمة وحملها وتعتبر اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، وعليها يجتمعون، وبها يتحدون، وعلى أساسها يكون رمز وجـودهم، إذ بفقدها أو ضعفها يكون الذوبان الأممي، وفقدان الأصالة، وذهاب الشخصية، وضياع التراث، فالرابطة في غاية القوة بين ضعف لغة ما واضمحلالها، وبين ضعف أهلها وتخلفهم؛ ولهذا يعتبر الباحثون في اللغات أن ضياع لغة أمة من الأمم ما هو إلا ضياع ثقافة أهلها، وبالتالي ضياع هويتها، إذ أن اللغة تحمل أهم الملامح المكونة للهوية الذاتية الخاصة بكل أمة حين تشترك مع الدين في تكوين الثقافة والحضارة لأمة ما من الأمم[1].

وتمتاز اللغة العربية بكونها لغة حضارة ومعرفة وتواصل وأداة تفكير أسهمت بشكل كبير في صناعة الحضارة الإنسانية، حتى أنها أصبحت جزء هاما من الذاكرة الإنسانية لارتباطها بتطور العالم الغربي في مراحل تاريخية معروفة، مما جعل هذا الغرب نفسه وفي كل حملاته العسكرية على العالم الإسلامي والوطن العربي يستهدف اللغة العربية والدين الإسلامي باعتبارهما من عناصر تميز هذا العالم ومن مقومات صموده. وتواصل هذا الهجوم في أشكال أخرى على رأسها الاستشراق وما حمله من تشويه وتحريف للهوية العربية الإسلامية ومن بينها الهوية اللغوية التي هي أخطر عناصر الهوية الثقافية[2].

ولا شك أن الجزائر تعد من أبرز الأمثلة التي توضح الهجمة الشرسة التي تعرضت لها اللغة العربية من طرف الاحتلال الأوروبي للبلاد العربية والإسلامية فمنذ تدنيس الاحتلال الفرنسي لأرض الجزائر سنة 1830م، سلكت فرنسا سياسة الإقصاء تجاه أبناء الجزائر تعتمد على التجهيل ونشر الأمية، حتى يمكنها أن تحكم سيطرتها التامة عليهم ولم تسمح لهم بالتعليم إلا في حدود ضيقة للغاية[3]، ثم عمدت فرنسا على توجيه الضربة تلو الأخرى للغة العربية والتعليم العربي الإسلامي، بغرض القضاء كليا على اللغة العربية في أرضها ووطنها الجزائر، ومن أبرز معالم تلك السياسة نذكر مايلي :

(1) - سالم بن كرامة عميران اليمني، اللغة العربية في عصر العولمة الأخطار وسبل المواجهة، مداخلة ضمن مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 18-19/05/ 1433 هـ، ص08.

(2) - نجيب بن خيرة، اللغة العربية واختراق الهوية في عصر العولمة، على موقع الملتقى الفكري للإبداع على الرابط : http://almultaka.org/author.php?idAu=33، تاريخ الولوج 17- 03-2021 على الساعة 15:33.

(3) - عمار عمورة، موجز تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص126.

– اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ومنع التدريس بها أو استخدامها في المعاملات الإدارية وغيرها ومن أخطر القوانين التي نصت على ذلك قرار وزير الداخلية الفرنسي " كميل شاطون" الصادر في 1938/03/08م الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ويجرم مستعمليها.

– محاربة التعليم العربي الإسلامي من خلال تدمير مؤسساته مثل الكتاتيب والزوايا والمساجد والأوقاف الإسلامية التي كانت تمول التعليم فقانون 1884/12/24م مثلا نص على أنه يمنع على أي جزائري أن يفتح أو يتولى إدارة مدرسة عربية أو كتاب أو تعليم القرآن الكريم إلا بترخيص خاص من عامل العمالة، وينذر هذا القانون كل فرد أو جماعة تقوم بفتح مدرسة عربية بدون ترخيص مسبق من إدارة الاحتلال إما بالسجن او الغرامة[4].

– مصادرة الأوقاف والمدارس الإسلامية باعتبارها الراعي الفعلي لعملية التعليم العربي – الإسلامي وحاضنة اللغة العربية والدين الإسلامي، فها هو أحد الكتاب الفرنسيين يكتب قائلا :" إن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية وتتنافى مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر..."[5]، ونتيجة لهذا التصرف الاستعماري أغلقت السلطات الفرنسية سنة 1830م في مدينة الجزائر لوحدها 13 مسجدا كبيرا و32 جامعا و12 زاوية، وتم تحويل المساجد إلى إسطبلات وثكنات وكنائس من بينها مسجد كتشاوة الشهير الذي حوله الجنرال دوروفيغو سنة 1832م إلى كنيسة نصب على صومعته صليبا والعلم الفرنسي بمباركة البابا غريغوار رغم معارضة رجال الدين الجزائريين والسكان الذين قتل عدد كبير منهم عندما حاولوا الدفاع عن المسجد[6].

– إنشاء المدارس الدينية المسيحة بهدف نشر اللغة اللاتينية واللغة الفرنسية في إطار تمسيح وتنصير الجزائريين وفرنستهم مثل المدارس التي أنشأها الكاردينال شارل لافيجري في منطقة القبائل منذ 1878م.

(4) - جاكر لحسن، جمعية العلماء المسلمين في مدينة معسكر 1931-1956م، دار العرب للنشر، 2003، ص199.

(5) -عمار عمورة، المرجع السابق، صص 124-127.

(6) - سعودي احمد، السياسة الاستعمارية واجراءاتها ضد التعليم العربي الإسلامي في الجزائر، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور الجلفة، العدد11، جانفي – يناير 2014، ص143.

– نفي العلماء واضطهادهم وقتلهم ومصادرة أملاكهم مثلما حدث مع حمدان خوجة ومحمود بن العنابي والكثير من العلماء.

– تهريب وإتلاف الكثير من المخطوطات والمكتبات العربية كما حدث الأمر في مدينة الجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان أو حين الاستيلاء على زمالة الأمير عبد القادر، وهي الكتب والمخطوطات الموجودة حاليا في مكتبات ومتاحف ودور الأرشيف الفرنسية.[7]

وبذلك يتبين لنا مدى فداحة الجرم الذي ارتكبته فرنسا في حق اللغة العربية طيلة 132 سنة من الاحتلال البغيض، والذي بقيت تراكماته وانعكاساته إلى يومنا هذا، خاصة وأن اللغة الفرنسية والتي اعتبرها البعض غنيمة حرب، ظلت هي لغة الإدارة والتعليم في جزائر ما بعد الاستقلال، ولم يمنح إلا هامش محدود للغة العربية.

وهكذا وللحفاظ على هويتنا اللغوية والثقافية فلا مفر من وجود سياسة لغوية عربية على المستويين القومي والقطري، تعمل على تمكين نمط لغوي واحد ومشترك، لتأكيد الملمح والكيان القومي العربي، ولن يكون ذلك دون جعل اللغة العربية اللغة الرسمية والعلمية الوحيدة في البلاد العربية دون أن نغفل عن تعلم وإتقان اللغات الأجنبية خاصة تلك المرتبطة بمجال البحث العلمي والتكنولوجيا وعلى رأسها اللغة الانجليزية.

2- اللغة العربية في عصر العولمة أي تحد؟ :

إن ما يشهده عصرنا الحالي من تحولات هائلة على ساحة المعلوماتية والتكنولوجيات الحديثة، يفرض مجموعة من التحديات الكبرى على اللغة العربية وأهلها ويجعلها أمام خيارات صعبة تحتم عليهم ترقية استخدامها والتمكين لها في جميع مناحي حياتهم أمام غزو فكري هائل تتعرض لها البلاد العربية ومن بينها الجزائر وبشكل حاد مع نهاية القطبية الثنائية وتصاعد موجات العولمة والأمركة التي تستهدف العالم الثالث عموما والوطن العربي خصوصا و في ظل تحول العالم إلى قرية صغيرة في ظل التطور الرهيب في مجال المعلوماتية والاتصالات وزوال فكرة الحدود والحروب التقليدية.

وفي موضوعنا العربي عموما والجزائري خصوصا، فإن المطلوب غربيا منا هو الخروج من جلودنا وتواصل الفرقة بيننا وإلغاء مبدأ الأمة، ومصادرة روح الحضارة العربية الإسلامية المتمثلة في مجموعة القيم والعادات والتقاليد المتوجة بدين قويم يجمعها ولغة

(7) - نفسه، صص 147-148.

عظيمة تعبر عنه [8]. وهاته اللغة ،هي اللغة العربية ،اللغة التي حملت معجزة القرآن ورسالة الإسلام ووفت بمتطلبات الحضارة الإسلامية والعربية في أزهى عصورها نقلا وإبداعا، وظل تكتبها في الطب والفلك والعلوم مرجع الغرب في مختلف جامعاته العريقة.[9]

وللأسف الشديد فإن اللغة العربية تعيش اليوم واقعًا معزولاً عن وظيفتها، فلا هي أصبحت أداة للتعليم العالي ولا البحث ولا الفكر، وهو ما يبعدها عن خصائصها ومقوماتها المسايرة دومًا للتقدم الحضاري، بما تتميز به من غزارة وما لها من تراث عريق بعيد الأثر في مراحل التاريخ المختلفة، الأمر الذي جعلها لغة التعلم والتعليم لسنوات طوال نهضت خلالها الأمة العربية نهضة علمية زاهرة بين أمم العالم، وكانت لها الصدارة العالمية بسبب تفوقها العلمي[10]، مما يجعلنا ندرك أن السياسات اللغوية يجب ان تعكس إرادة الشعوب وصناع القرار بالدرجة الأولى فكثير من الدول المتطورة حاليا اختارت أن تتطور بلغاتها القومية ولعل أبرز مثال هو الصين وألمانيا واليابان وحتى دول إسلامية مثل إندونيسيا وماليزيا، دون أن تغلق الباب أمام الاستفادة من بقية اللغات الأجنبية ذات الرواج والتأثير.

فالعولمة وللأسف أصبحت أمرا نافذا إذ تغلغلت في لحمة المجتمع العربي بدءا بالسياسة والاقتصاد، عبورا إلى الكيان الثقافي الذي بات مهددا بنوبات سرطانية غربية[11] وقد يبدو للوهلة الأولى أن العولمة موجهة نحو المال والاستهلاك، ولكن الواقع يؤكد أن سلاحها الحقيقي موجه نحو عقل الإنسان، فهي غزو ثقافي كامل، لأنها موجهة إلى فكر الإنسان ولغته وثقافته، بفضل حيازتها معرفة منظمة، ووسائل فاعلة لنشر هذه المعرفة. إن التعليم باللغة القومية يعد محورًا للحفاظ على الثقافات الموروثة وتنميتها. ومن هذا المنطلق يجب التأكيد على ضرورة الارتقاء باللغة والتعريب، حفاظًا على القيم

(8) - محمد مقدادي، العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، ط2، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002، ص ص287-289 .

(9) - أحمد شفيق الخطيب، العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين المواصفات المصطلحية وتطبيقاتها في اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، 1996، ص07.

(10) - محمود فوزي المناوي، العلم واللغة متى يتكلم العلم العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2013، ص12.

(11) - محمد مقدادي، المرجع السابق، ص287.

المكتسبة على مر العصور وقد أصبح واضحا للعيان كيف يستخدم مهندسو العولمة اللغة كوسيلة للاختراق الحضاري وللتأثير على الهوية الثقافية، ثم خلخلتها من الداخل، تمهيدًا للقضاء على الموروث الثقافي الذي هو أهم مقومات الدول، وهناك هجوم منظم على لغتنا العربية يتخذ شكل الحرب الذكية، تنكشف حينا وتتخفى أحيانًا أخرى[12].

ولعل من أخطر الأدوات التي صارت واضحة في يومياتنا لضرب اللغة العربية، هو ما أصطلح على تسميته بتفكيك اللغة الفصحى، وهو إنتاج للهجات عامية تنافس اللغة العربية الفصيحة بحجة صعوبة هذه الأخيرة ولا وظيفيتها، لكن الخطير في الأمر أن نجد الكثير من تلك اللهجات خليطا عجيبا من اللغة العربية واللغة الفرنسية أو الإنجليزية ومفردات يخلقها المجتمع لا تمتلك أي جذور او أصول لغوية، تجعل الطفل يجد هوة كبيرة وواسعة بين ما يعيشه في بيته أو في الشارع وبين ما يكتبه أو يقرأه في مدرسته وكتابه، فمزاحمة العامية للفصحى لا يعني إلغاءها أو زوالها، ولكن التباين العريض بين الفصحى والعامية في مستوى التركيب النحوي في القواعد والإعراب والصرف قد يؤثر سلبا على عملية التعليم وفي الاستيعاب لحقائق العربية[13].

وطالما سمعنا كثيرا عن أفكار تروج أن اللغة العربية من أصعب اللغات تعلما بسبب العدد الكبير من مفرداتها وصعوبة تعلم قواعدها مما يجعلها لا تناسب عصر السرعة الذي نعيشه وأن اللهجات العامة أكثر وظيفية منها في الاستعمال اليومي ،و لكن هذه الصعوبة المزعومة تجعلهم ينفرون من تعلم الفصحى، فيترسخ بذلك فكر خاطئ عنها [14].

وسواء كانت العولمة وفاقا أم صراعا فللغة — في كلتا الحالتين — شأن خطير، فإن كانت العولمة وفاقا، فاللغة ذات شأن جليل في حوار الحضارات، وإذا كانت العولمة صراعا فإن الإنجليزية تريد أن تكون منفردة، كلغة عالمية، مع تهميش نشيط لبقية اللغات، ومنها العربية وعلى ذلك فإن على العرب أن يدركوا ما يعنيه اقتصاديا وثقافيا وسياسيا قرار منظمة التجارة العالمية بعدم اعتبار اللغة العربية ضمن لغاتها

(12) - محمود فوزي المناوي، المرجع السابق، ص 15.

(13) - راضية بن عربية، العولمة وأثرها في اللغة العربية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية جامعة الشلف، قسم العلوم الاجتماعية العدد - 16 جوان2016 ، ص09.

(14) - عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، 2007، ص 112.

الرسمية، وفي المقابل، ما يعنيه من مزايا القرار الذي اتخذه أخيرا المجلس الدولي للأرشيف — من حيث المبدأ — باعتبار اللغة العربية ضمن لغاته الرسمية[15].

3- واقع اللغة العربية في مجال البحث العلمي:

يشكل التعليم العالي والبحث العلمي المحرك الحقيقي لأي نهضة ترتجيها الدول والأمم، وأن النخب المتعلمة داخل أي مجتمع هي الأجدر بقيادته نحو الأفضل، وأن مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي هي المخابر الحقيقية التي تخرج من القرارات الصائبة والتي ترسم الغد المشرق لشعوبها وحكوماتها، وهذا كله مما يحمل الجامعة في بلداننا مسؤولية كبيرة في الحفاظ على هويتنا ولغتنا من جهة وتحقيق التطور وخدمة مجتمعاتنا من جهة ثانية أي أنها حامية الماضي وصانعة المستقبل

لكن المجتمع عندما يفكر ويقرر النهوض فلا شك أنه يرتكز في ذلك أولا على أصالته ومقوماته، مما يستدعى أن يكون ذلك بلغته القومية أولا ثم بقية اللغات العالمية ثانيا، فاللغة القومية بقدر ما تكون أداة للتعلم فإنها تحقق أيضا ذلك التكامل لدى الطالب والباحث بين ما هو مادي وروحي، وتجعله في ارتباط تام مع مجتمعه ووطنه وأمته، فالأصل ألا يمس التعريب ألسنتنا فقط، وانما يتعدى ذلك إلى تعريب المجتمع والمحيط، أين سيسود الفكر والقيم العربيتين، لتمكين العربية في مجالات المعرفة الإنسانية في مختلف مظاهر الحياة، وجعلها "كمطلب قومي لتحقيق التواصل بين أفراد المجتمع والعمل على ضبط أشكال معارفهم، وتحديد إيقاع متميز لمعطيات تجربتهم وفكرهم وتمهيد السبيل لتجاوز وضعية التناقض والتخلف الّتي تسود معظم الأقطار العربية وللأسف تسود حتى في وسطها الأكثر أهمية وارتباطا بمجال اللغة ألا وهي الجامعة والبحث العلمي[16]

كما أنه من الجلي بما كان ذلك التفاعل الواضح بين المجتمع والجامعة، فكل ما يطرأ على المجتمع من تطورات سياسية واقتصادية تجد صداها في مخابر البحوث وفي إنتاج النخبة الجامعية من دراسات نظرية أو تطبيقية تحاول تتبع هذه التطورات ودراستها من حيث سلبياتها وإيجابياتها، إذ أن التعليم الجامعيّ يؤثر في المجتمع ويتأثر به، وتعكس مناهجه توجهات قطاعاته ومؤسساتِه، وتبادر إلى تذليل مشكلاتِه وحل

(15) - محمود فوزي المناوي، المرجع السابق، ص 12.

(16) - رشدي أحمد طعيمة، محمود كامل الناقة، اللغة العربية والتفاهم العالمي، ط1، دار المسيرة، عمان، 2009، ص78.

معضلاته، ليس ذلك فحسب، بل يتجلى هذا الدور حين يلقي المجتمع على كاهل الجامعة مهمة النهوض. [17]

إن تعريب العلوم لا ينقص من قيمتها، بل إنه في رأينا يرفع شأنها ومستواها، فالشخص الذي يتعلم أحد العلوم بلغته، يعمل على نقل ما تعلمه إلى هذه اللغة، وإننا قد نقبل أن تدخل اللغة الأجنبية بيوتنا وجامعاتنا ومعاهدنا العلمية، لكي نتعلم من كل ما هو جديد في العالم، ولكن علينا أن نعبر عنه بلغتنا القومية حتى لا تضيع، فالانفتاح على الحضارات والثقافات والعلوم الحديثة والمتطورة بات واجبًا قوميًا مع الحفاظ على هويتنا، وهو ما يحفظ لنا قوميتنا وكرامتنا العربية شامخة دائمًا بين الأمم[18].

وليس في هذا المسعى لتعريب العلوم أي عداء تجاه ثقافات أو لغات أخرى، فالجامعة بالضرورة هي أكثر الفضاءات انفتاحا على الثقافات واللغات الأجنبية ومحل التجاذب والتقاطع الفكري والثقافي البناء بنظرتها العلمية والموضوعية للأشياء بعيدا عن التعصب والاصطفاف الطائفي والفكري، بل إن من الضروري على طلبة وباحثي الجامعات الجزائرية إتقان أكثر من لغة أجنبية لدعم مكتسباتهم باللغة العربية وإمكان إيصال أفكارهم وإنتاجهم ونشرها في المحافل والمنابر الدولية وهذا في حد ذاته إنتصار للغة العربية.

ولعل من أهم الغايات وأسماها التي يحتمها علينا واقعنا الحالي هو الاعتناء باللغة العربية على مستوى قطاع التعليم العالي والبحث الجامعي وفق رؤية شاملة وخطة محكمة ومدرسة تأخذ بعين الاعتبار كل المعطيات الداخلية والخارجية للموضوع، وانطلاقا من أحقية هذه اللغة في أن تأخذ المكانة اللائقة بها في بلدنا وفي جامعاتنا فإن عنايتنا باللغة العربية في مجال التعليم الجامعي والبحث العلمي تتأتى في أفق الرؤية الكاملة لأحقيّة هذه اللغة في الحياة لإمكاناتها الذاتية، ولعددية الأمة العربية، وعددية الناطقين بها من الدوليين، ومن المسلمين الذين تمثل اللّغة جزءا أساسا في عقيدتهم فهي لغة قومية لأهلها من العرب الذين ابتدعوها، وهي لغة معتمدةٌ في أداء الشّعائر الإسلامية.[19]

(17) - محمود فوزي المناوي، المرجع السابق، ص09.

(18) - محمود فوزي المناوي، المرجع السابق، ص09.

19- نوال مسلمي، دراسة المعجميات ووظائفها، دار البيان، طرابلس، الجماهرية الليبية، 1992، ص23.

وإن الرغبة المنشودة في تأصيل اللغة العربية وتطويرها والقيام بشؤونها وجعلها تتماشى مع متطلبات التطور التكنولوجي ومظاهر العولمة التي نعيشها، تحتم علينا منذ البداية خلق قاعدة قوية لما يسمى المجتمع اللغوي والذي سيكون هو بدوره الداعم والحاضن الفعلي لهذا التوجه، حيث أنه: «لا يكتسب الإنسان لغته من فراغ، بل لابد له من العيش في مجتمع لغوي، يتبادل معه الأخذ والعطاء بوسائل كثيرة من أهمها السماع والإسماع...»[20]

ولا يمكن لنا أن نفلح في المسعى بالتمكين للغة العربية في قطاع التعليم العالي والجامعة الجزائرية، مالم ننجح في سياسة التعريب الشامل، وأي عمل أولى وأجدى من أن نجعل الجامعات ومعاهد التعليم العالي، مصانع الرجال الذين استنارت بصائرهم وتأصلت شخصياتهم وتركزت دعائم انتمائهم على أمتهم فتخرجوا ليتقدموا بمجتمعهم لا ليتمردوا عليه... وهل تكون الجامعات كذلك إلا بإقامة توازن بين علم نأخذ بأسبابه وظروف اجتماعية وقومية مصيرية تمر بها الأمة[21]

ولكننا وللأسف نلتمس واقعا إليما تعيشه اللغة العربية الفصحى على مستوى التعليم العالي والبحث العلمي في اغلب الجامعات العربية ومن بينها جامعتنا الجزائرية، من خلال تتبع الاختلالات الكبيرة الحاصلة لدى الطلبة والكثير من الباحثين في مجال استخدام اللغة العربية الفصحى من حيث التحدث وإنتاج البحوث العلمية بها بشكل يخلو من الأخطاء، ويمكن ان نحصر اهم مظاهر الخلل فيما يلي:

— الاستخدام المحصور جدا للغة العربية الفصحى مما يعرضها لخطر الانقراض، فاللغة تموت وتندثر إذا غاب استخدامها، ويشير عالم اللسانيات عبد الرحمان الحاج صالح إلى ضرورة الجمع بين الوضع والاستعمال في اللغة العربية فيقول: «اللسان وضع واستعمال أي نظام من الأدلة الموضوعة لغرض التبليغ واستعمال فعلي لهذا النظام في واقع الخطاب، ولا يمكن الاستغناء عن أي جانب منها...»[22].

(20) - كمال بشر، فن الكلام، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2003، ص10.

(21) - مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، ط3، دار النفائس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1985، ص20.

(22) - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص198.

– ضعف الطلبة لغويا على مستوى مهارتي الكتابة والأداء كما يتجلى بشكل واضح في كتابة البحوث أو أثناء إلقائها، فالكتابة تستلزم زيادة في العلم، وغزارة في الفضيلة وذكاء في القريحة، وجودة في الروية، وتصرفا في المعاني، وصناعة الكتابة فن باعتبارها تصوير للفظ بحروف الهجاء حسب معاني النفس المدركة وحسب ما تهدف إليه الكتابة[23].

– ضعف التحكم في علامات الترقيم، مما يحدث خللا كبيرا في المعاني والدلالات، ويشوه النصوص المكتوبة حين يجعل منها فقرات تمتد على طول صفحات متعددة دون أي علامات للترقيم.

– الضعف في توظيف اللغة العربية لدى الباحث يدفعه على الكثير من الحشو والإطناب مما يخل بقيمة البحث وينقص من قيمه العلمية.

– تركيز البحوث باللغة العربية على المجالات الاجتماعية والإنسانية واستثناء ذلك من التخصصات العلمية مثل البيولوجيا والهندسة والطب والكيمياء...الخ.

– قلة النشاطات الثقافية الداعمة للنشاط البيداغوجي باللغة العربية من نوادي للمسرح والأنشودة والخط العربي والشعر وغيرها مما يمكن أن يدعم اللغة العربية الفصحى.

– نقص كبير في المجلات والجرائد الورقية والحائطية في أغلب الجامعات الجزائرية والتي تكون من إنتاج وإبداع الطلبة باللغة العربية الفصحى، والتي تسمح لهم بالإبداع والإنتاج الفكري في مجالات مختلفة.

4- سبل الارتقاء باللغة العربية في مجال البحث العلمي:

يجب أن يحصل لدى كل أهل الشأن السياسي والاقتصادي والثقافي والعلمي في بلادنا، اقتناع أن صراع الهويات والثقافات المختلفة في العالم أصبح يحتم على الجميع اتخاذ قرارات وإجراءات حاسمة من شأنها حماية أمننا الهوياتي أمام الهجمات القوية والمتكررة للعولمة الشرسة، ومن هنا يبدو من الأهمية بما كان أن نعتبر قضية التعريب وتطوير استخدام اللغة العربية في الجامعة الجزائرية وفي ميدان البحث العلمي بشكل عام

(23) - صالح بلعيد، تقنيات التعبير، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، تيزي وزو، الجزائر، (د ت)، ص162.

، معركة وجود يجب أن نحسمها انتصارا لهويتنا ولأنفسنا بالدرجة الأولى ودون أن ننسى مسايرة التقدم المذهل والسريع في التطور العلمي والتكنولوجي فيجب علينا على مستوى الجامعة والبحث العلمي اتخاذ الإجراءات التالية :

1- وضع سياسة وطنية تقوم على خطة مناسبة تعمل على تعميم استخدام اللغة العربية في الجامعة وهذه السياسة تكون من البنيات التحتية التي تعمل الدولة على تحديثها، وتمويلها ورقيها داخليا عن طريق البحث في مختلف علومها من أدب ونحو ورياضيات وفيزياء وإعلام وكذلك رقيها خارجيا بتفعيل مجامعها ومؤسساتها الثقافية الأخرى[24]

2- أن تكون الدراسة في المرحلة الجامعية باللغة العربية، أما المصطلحات فتستخدم كما هي في لغاتها، إذا تعذر وجود المعادل العربي لها، حتى نجد هذا المعادل ونتداوله فيما بين أهل التخصص.

3- أن نلجأ إلى ترجمة هذه المصطلحات كلما كان ذلك ممكنًا، ونعتمد على الوسائل اللغوية التي تتمتع بها اللغة العربية، من الاشتقاق والنحت وغير ذلك من الوسائل المتاحة لدينا الآن.

4- الاستمرار في استخدام المصطلح الأجنبي ومرادفه العربي، حتى يتسنى لنا ملاحقة التطورات العلمية العالمية المتسارعة.

5- تشجيع التأليف والترجمة والنشر في التخصصات العلمية والتقنية باللغة العربية[25].

6- إنشاء بنك للمصطلحات العلمية والإنسانية والعلوم المستخدمة، يكون مقره مكتبة اتحاد مجامع اللغة العربية، واتحاد الجامعات العربية، تصب فيه محتويات مراكز المصطلحات التي يجب إنشاؤها في الجامعات والمراكز العلمية والبحثية، ليكون هذا همزة الوصل بني المجامع العربية وبين دول العالم، ونافذة للباحثين في العالم الغربي[26].

7- أن تدرس مادة دراسية رئيسة واحدة بلغة أجنبية حية في كل عام دراسي جامعي، ويقدم الامتحان بتلك اللغة، مع إلزام الطالب برصد المصطلح الأجنبي وحفظه في حقل اختصاصه إضافة إلى المصطلح العربي — إن وجد، ضمانًا لمواكبة التقدم العلمي العالمي والمتابعة العلمية المستمرة.

---

(24) - اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد06، 2001، ص 340.

(25) - اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد01، 1999، ص 243.

(26) - محمود فوزي المناوي، مرجع سابق، ص21.

8- أن يخصص جزء قائم بذاته في كل رسالة ماجستير أو دكتوراه خاص بالمصطلحات العلمية، في التخصص باللغة العربية وما يقابلها باللغة الأجنبية، على ألا تجاز الرسالة إلا إذا تمت مراجعة وإجازة هذا الجزء من مركز المصطلحات العلمية بالجامعة.

9- ألا يحصل أي عضو من أعضاء هيئة التدريس على درجة الأستاذية إلا إذا قام هو نفسه أو بالاشتراك مع بعض زملائه بترجمة كتاب علمي أو ثقافي أو تقني في مجال تخصصه.

10-أن يشترط نشر بحثين باللغة العربية على الأقل عند التقدم لدرجة علمية أعلى.

11-إضافة باب إلى مجلاتنا العلمية المتخصصة، يختص بترجمة الأبحاث العلمية الحديثة المتخصصة.[27]

12- تشجيع الطلبة على الإبداع باللغة العربية الفصحى من خلال تكثيف النشاط المرافق ضمن الأندية والمجلات وإلزام كل الكليات حتى تلك التي لا تدرس بالعربية على أن يكون لها نشاط مواز باللغة العربية.

13- تثمين ما ينجزه الطلبة من أعمال باللغة العربية عن طريق الجوائز ونشر إبداعاتهم ومنحهم رحلات علمية على جامعات عربية لمزيد من الاحتكاك والتبادل الثقافي.

الخاتمة: يتضح لنا مما سبق أن قضية اللغة العربية في العالم العربي عموما والجزائر خصوصا ليست موضوعا تقنيا بحتا من حيث الإداء والترويج أن اللغة العربية صعبة التدريس وأنها لا تصلح لدراسة وتدريس العلوم خاصة التقنية منها وأن الجزائريين لا يفهمون اللغة العربية الفصحى كغيرهم من العرب، فإنها ادعاءات باطلة ولا تستند إلى حقائق واقعية، كما ان نجاح العديد من تجارب التعريب في دول شقيقة خاصة في مجال الطب والتكنولوجيات تبطل هذه المزاعم كليا، مما يجعلنا نقر بأن الموضوع لدينا سياسي بامتياز وأن التمسك بالفرنسة في الجزائر ترفع لوائه نخبة مثقفة بالثقافة الفرنسية ونخبة سياسية ترعرعت في أحضان السياسات الفرنسية ولازالت تدافع عن استمرارها عبر القنوات الاقتصادية والثقافية، مما يجعل القضية قضية قرار سياسي بالدرجة الأولى عبر تفعيل المادة الدستورية التي تنص على ان اللغة العربية هي اللغة الرسمية الأولى للدولة الجزائرية ومؤسساتها، وعلى المواطن الجزائري أن يدرك بأنه بقاؤه واستقلاله في بقاء واستمرار مقومات شخصيته الوطنية وعلى رأسها اللغة العربية، كما يجب على النخبة الأكاديمية ان تكون قاطرة هذه الحركة وإثبات أن اللغة العربية غير عاجزة على أن تحتضن كل العلوم كما كانت عبر التاريخ العربي والإسلامي الحافل بالأمجاد.

---

(27) - نفسه، ص22.

ولا شك أن الجامعة وقطاع التعليم العالي تتحمل المسؤولية الكبرى في مواجهة هذا الخلل اللغوي الحاصل في بلدنا ومؤسساتنا الأكاديمية، وهي قادرة على ذلك بما تملكه من كفاءات ونوايا حسنة، دون أن ننسى إمكانية الاستفادة من التجارب الإيجابية والناجحة التي خاضتها جامعات في دول شقيقة وصديقة جمعت بين محافظتها على لغتها القومية وتحقيقها لتطور حضاري مشهود.

المراجـع:

1. أحمد شفيق الخطيب، العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين المواصفات المصطلحية وتطبيقاتها في اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، 1996.

2.جاكر لحسن، جمعية العلماء المسلمين في مدينة معسكر 1931-1956م، دار العرب للنشر ، 2003.

3.راضية بن عريبة، العولمة وأثرها في اللغة العربية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية جامعة الشلف، قسم العلوم الاجتماعية العدد 16 - جوان 2016.

4.رشدي أحمد طعيمة، محمود كامل الناقة، اللغة العربية والتفاهم العالمي، ط1، دار المسيرة، عمان ، 2009.

5.زيفريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ط2، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1969.

6. سالم بن كرامة عميران اليمني، اللغة العربية في عصر العولمة الأخطار وسبل المواجهة، مداخلة ضمن مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 18-19/05/ 1433 هـ.

7. سعودي أحمد، السياسة الاستعمارية واجراءاتها ضد التعليم العربي الإسلامي في الجزائر، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور الجلفة، العدد11، جانفي – يناير 2014.

8. صالح بلعيد، تقنيات التعبير، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، تيزي وزو، الجزائر، (د ت).

9. عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

10. عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، 2007.

11. عمار عمورة، موجز تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

12. كمال بشر، فن الكلام، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2003.

13. اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد01، 1999.

14. اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد06 ،2001.

15. مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، ط3، دار النفائس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ،1985، ص20.

16. محمد البشير الابراهيمي، العربية فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الأمم غير العربية، جريدة الشهاب، ج1، م15، فيفري 1939.

17. محمد مقدادي، العولمة رقاب كثيرة وسيف واحد، ط2، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002.

18. محمود فوزي المناوي، العلم واللغة متى يتكلم العلم العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2013.

19. نجيب بن خيرة، اللغة العربية واختراق الهوية في عصر العولمة، على موقع الملتقى الفكري للإبداع على الرابط http://almultaka.org/author.php?idAu=33 :

20. نوال مسلمي، دراسة المعجميات ووظائفها، دار البيان، طرابلس، الجماهرية الليبية ،1992.